

## الباب الثالث

### تقديم البيانات وتحليلها

#### أ- تقديم البيانات

##### ١- لمحة عن سورة مريم

سميت (سورة مريم) لاشتمالها على قصة حمل السيدة مريم، وولادتها عيسى عليه السلام، من غير أب، وأصداء ذلك الحمل، وماتبعه ورافق ولادة عيسى من أحداث عجيبة، من أهمها كلامه وهو طفل في المهد.<sup>١</sup>

سورة مريم مكية، وغرضها تقرير التوحيد، وتزيه الله جل وعلا عما لا يليق به، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء، ومحور هذه السورة يدور حول التوحيد، والإيمان بوجود الله ووحديته، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضالين. عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئةً بقصة نبي الله (زكريا) وولده (يحيى) الذي وهبه على الكبر من امرأةٍ عاقرةٍ لا تلد، ولكن الله قادرٌ على كل شيء، يسمع دعاء المكروب، ويستجيب لنداء الملهوف، ولذلك استجاب الله دعاءه ورزقه الغلام النبيه.

وعرضت السورة لقصة أعجب وأغرب، تلك هي قصة (مريم العذراء) وإنجازها لطفلٍ من غير أب، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيس من أم بلا أب، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلةً أمام الأبصار، بعظمة الواحد القهار.

وتحدثت كذلك عن قصة إبراهيم مع أبيه، ثم ذكرت بالثناء والتبجيل رسل الله الكريم: (إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، نوحا) وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام حوالي ثلثي السورة، والهدف من ذلك إثبات (وحدة الرسالة) وأن الرسل جميعاً جاءوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبد الشرك والأوثان.

---

١- وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ط. ١، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩١م). ص. ٤٦.

وتحدثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، وعن أهوال ذلك اليوم الرهيب، حيث يجثو فيه الكفرة المجزمون حول جهنم ليقذفوا فيها، ويكونوا وقوداً لها. وختمت السورة الكريمة نثرية الله عن الولد، والشريك، والنظير، وردت على ضلالات المشركين بأنصع بيان، وأقوى برهان.

التسمية: سميت (سورة مريم) تخليداً لتلك المعجزة الباهرة، في خلق إنسانٍ بلا أب، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد، وما جرى من أحداث غريبة رافقة ميلاد عيسى عليه السلام.<sup>٢</sup>

مناسبتها لما قبلها: اشتملت السورتان على قصص عجيب، فسورة الكهف اشتملت على قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة، بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الجضر، وما فيها من المثيرات، وقصة ذي القرنين. وسورة مريم فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيى بن زكريا عليه السلام حال كبر الوالد وعقم الوالدة أي بين شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقر، وقصة ولادة عيسى عليه السلام من غير أب.

ما اشتملت عليه السورة: موضوع السورة كسائر السور المكية هو إثبات وجود الله ووحدانيته، وإثبات البعث والجزاء من خلال إبراد قصة جماعة من الأنبياء، على النحو التالي:

(أ) افتتحت السورة بقصة ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام، من أب شيخ كبير وأم عاقر لاتلد، ولكن بقدره الله القادر على كل شيء، خلافاً للمعتاد، وإجابة لدعاء الوالد الصالح، وأعقبه الخبر بإيتاء يحيى النبوة في حال الصبا، الآيات (١) - (١٥).

(ب) أردف ذلك قصة ولادة عيسى من مريم العذراء، من غير أب، لتكون دليلاً آخر على القدرة الربانية. وقد أثار ذلك موجة من النقد واللوم والتعنيف، خفف منها كلام عيسى وهو طفل في المهد، تبرئة لأمه، ووصف نفسه بصفات النبوة والكمال.

<sup>٢</sup> محمد علي الصابوني، *صفوة التفاسير*، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ص ٣٤٠.

واقترن المخاض بحدثين غريبين: هما نداء عيسى أمه حين الولادة بألا تحزن، فقد جعل الله عندها نهرًا، وأمرها بهز النخل أخذًا بالأسباب لإسقاط الرطب، الآيات (١٦-٣٢).

وأحدثت هذه الولادة اختلافًا بين النصارى في شأن عيسى، الآيات (٣٧-٤٠).<sup>٣</sup>

(ج) انتقلت الآيات بعدئذ إلى بيان جانب من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، ومناقشته أباه في عبادة الأصنام، وإكرام الله له بهبته-وهو كبير، وامرأته سارة عاقرة-ولدًا هو إسحاق ومن بعده ابنه يعقوب وجعلهما نبيين، كما حدث فعلاً من ولادة إسماعيل قبل ذلك، وإبراهيم شيخ كبير بعد دخوله على زوجته هاجر، الآيات (٤١-٥٠).

(د) ثم تحدثت السورة عن قصة موسى ومناجاته ربه في الطور، وجعل أخيه هارون نبيًا، الآيات (٥١-٥٣).

(هـ) ثم أشارت إلى قصص إسماعيل الموصوف بصدق الوعد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإدريس الصديق النبي، وماأنعم الله به على أولئك الأنبياء من ذرية آدم لإثبات وحدة الرسالة بدعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك الآيات (٥٤-٥٨). وماسبق كله يشمل حوالي ثلثي السورة.

(و) قورن الخلف بالسلف، وبان الفرق بأن الخلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، وجدد الوعد بجنات عدن لمن تاب وعمل صالحًا (٥٩-٦٣).

(ز) ناسب ذلك الكلام عن الوحي، وأن جبريل لايتزل بالوحي إلا بإذن ربه، الآيات (٦٤-٦٥).

(ح) ناقش الله المشركين حين الذين أنكروا البعث، وأخبر بمحشر الكافرين مع الشياطين، وإحضارهم جثيًا حول جهنم، وبأن جميع الخلق ترد على النار (٦٦-٧٢).<sup>٤</sup>

<sup>٣</sup> وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص. ٤٦.

<sup>٤</sup> وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص. ٤٦.

ط) أبان الله تعالى موقف المشركين حين سماع القرآن من المؤمنين بأنهم خير منهم مجلساً ومجتمعاً. وهددهم بأنه أهلك كثيراً من الأمم السابقة بسبب عتوهم واستكبارهم، وأنه يمدّ للظالمين ويمهلهم، ويزيد الهداية للمهتدين، وأن معبودات المشركين ستكون أعداءً لهم (٧٣-٨٤) وذلك كله لتزيه الله عن الولد والشريك.

ي) التمييز بين حشر وفد المتقين إلى الجنان، وسوق المجرمين إلى النيران (٨٥-٨٧).  
ك) التنديد بمن ادعى الولد الله، والرضا عن المؤمنين الصالحين، وأن القرآن لتبشير المتقين وإنذار الكافرين المعاندين (٨٨-٩٨).

**فضلها:** روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه.<sup>٥</sup>

## ٢- آيات الكناية في سورة مريم

ويتضمن فيها من عناصر البلاغة منها يتضمن عن الكناية. والكناية في اللغة هي ترك التصريح أى التعبير المباشر غير الخفي، أو أن تتكلم بشيء ونريد غيره، وفي الاصطلاح ذات معنيين إرادة المعنى الحقيقي والمعنى اللازم.<sup>٦</sup> وبعض العلماء البلاغيون الكناية بإعتبار المكنى عنه صفة وقد يكون موصوفاً وقد يكون نسبة.

أ) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٦﴾

ب) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ

بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٧﴾

<sup>٥</sup> وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص. ٤٦.

<sup>٦</sup> أحمد يوسف علي و إبراهيم عبد العزيز زيد، البلاغة العربية دراسات ونصوص، مجهول السنة. ص.

- (ج) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
- (د) وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾
- (هـ) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾
- (و) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأُتْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾
- (ز) يَتَّابِتْ إِيَّيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾
- (ح) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنَّا إِلَهِي يَتَّبِرُهُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي ﴿٤٦﴾
- (ط) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
- (ي) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾
- (ك) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴿٦٤﴾
- (ل) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾
- (م) وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

### ٣- تحليل آيات الكناية في سورة مريم

#### ١- إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٢٠﴾

وفي «الكشف» أن الأشبه أنه كناية مع إرادة الحقيقة لأن الخفاء في نفسه مطلوب أيضاً لكن المقصود بالذات الإخلاص، وقيل مستوراً عن

الناس بالمخافة، ولا منافاة بناء على ارتكاب المجاز أو بناء على أن النداء لا يلزمه رفع الصوت ولذا قيل: "يا من ينادي بالضمير فيسمع".<sup>٧</sup>  
 وكان نداؤه عليه السلام كذلك لما مر آنفاً أو لضعف صوته بسبب كبره كما قيل الشيخ صوته خفات وسمعه تارات، قيل: كان سنه حينئذ ستين سنة، وقيل خمساً وستين، وقيل سبعين، وقيل خمساً وسبعين، وقيل ثمانين، وقيل خمساً وثمانين، وقيل اثنتين وتسعين، وقيل تسعاً وتسعين، وقيل مائة وعشرين وهو أوفق بالتعليل المذكور.

ويسمى بلفظ "خفياً" بكناية صفة لأن الخفاء في نفسه مطلوب أيضاً لكن المقصود بالذات الإخلاص. و أغراض الكناية يعني الإيضاح لإن المقصود بالذات الإخلاص

٢- قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ

بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤١﴾

الكناية { وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي } كناية عن ذهاب القوة وضعف الجسم.<sup>٨</sup>  
 { قَالَ رَبِّ } والجملة تفسير للنداء وبيان لكيفيته فلا محل لها من الإعراب { إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي } أي ضعف، وإسناد ذلك إلى العظم لما أنه عماد البدن ودعام الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة تداعى ما وراءه وتساقطت قوته؛ ففي الكلام كناية مبنية على تشبيه مضمرة في النفس أو لأنه أشد أجزاء صلابة وقواماً وأقلها تأثراً من العلل فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ففي الكلام كناية بلا تشبيه، وأفرد على ما قاله العلامة الزمخشري وارتضاه كثير من المحققين لأن المفرد هو الدال على معنى الجنسية والقصد إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان القصد إلى معنى آخر

<sup>٧</sup> محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م)،

<sup>٨</sup> محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م)، ص. ٤١.

وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها حتى كأنه وقع من سامع شك في الشمول والإحاطة لأن القيد في الكلام ناظر إلى نفي ما يقابله وهذا غير مناسب للمقام، وقال السكاكي: إنه ترك جمع { العظام } إلى الأفراد لطلب شمول الوهن العظام فرداً فرداً ولو جمع لم يتعين ذلك لصحة وهنت العظام عند حصول الون لبعض منها دون كل فرد وهو مسلك آخر مرجوح عند الكثير وتحقيق ذلك في موضعه، وعن قتادة أنه عليه السلام اشتكى سقوط الأضراس ولا يخفي أن هذا يحتاج إلى خبر يدل عليه فإن انفهامه من الآية مما لا يكاد يسلم، و { مِنِّي } متعلق بمحذوف هو حال من العظم، ولو يقل عظمي مع أنه أخصر لما في ذلك من التفصيل بعد الإجمال ولأنه أصرح في الدلالة على الجنسية المقصودة هنا، وتأكيد الجملة لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها.<sup>٩</sup>

ويسمى بلفظ "وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي" بكناية صفة لأنه يوضح عن حال الجسم وهو ضعف ووهن، وهذا اللفظ تدل على الصفة. و أغراض الكناية يعني الإيضاح لأن يدل على جسمه.

٣- فُخْرِجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا



المسألة الثانية: لا يجوز أن يكون المراد من قوله أوحى إليهم الكلام لأن الكلام كان ممتنعاً عليه فكان المراد غير الكلام وهو أن يعرفهم ذلك إما بالإشارة أو برمز مخصوص أو بكتابة لأن كل ذلك يفهم منه المراد فعلموا أنه قد كان ما بشر به فكما حصل السرور له حصل لهم فظهر لهم إكرام الله تعالى له بالإجابة، واعلم أن الأشبه بالآية هو الإشارة لقوله تعالى

<sup>٩</sup> محمود الألوسي، مرجع سابق، ص. ٨٦-٨٧.

في سورة آل عمران: { ثلاثة أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا }<sup>١٠</sup> والرمز لا يكون كناية للكلام.<sup>١١</sup>

ويسمى بلفظ "فَأَوْحَى سواء كان برمز" بكناية الموصوف لأن  
بمكسود في هذا الآية يعني الكلام. و أغراض الكناية يعني الإيضاح هو  
كناية من زكريا الذي يسير بالكلام.

٤- **وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** ﴿١٥﴾

الأظهر أنه عطف على { وءاتيناه الحكم صبياً }<sup>١٢</sup> مخاطباً به  
المسلمون ليعلموا كرامة يجيى عند الله.

والسّلام: اسم للكلام الذي يفتح به الزائر والراحل فيه ثناء أو  
دعاء. وسمي ذلك سلاماً لأنه يشتمل على الدعاء بالسلامة ولأنه يؤذن بأن  
الذي أقدم هو عليه مسالم له لا يخشى منه بأساً. فالمراد هنا سلام من الله  
عليه، وهو ثناء الله عليه، كقوله { سلام قولاً من رب رحيم }<sup>١٣</sup>. فإذا  
عرّف السلام باللام فالمراد به مثل المراد بالمنكر أو مراد به العهد، أي سلام  
إليه، كما سيأتي في السلام على عيسى. فالمعنى: أن إكرام الله متمكن من  
أحواله الثلاثة المذكورة.

وهذه الأحوال الثلاثة المذكورة هنا أحوال ابتداء أطوار: طور  
الورود على الدنيا، وطور الارتحال عنها، وطور الورود على الآخرة. وهذا  
كناية على أنه بمحل العناية الإلهية في هذه الأحوال.<sup>١٤</sup>

<sup>١٠</sup> من القرآن، سورة آل عمران ٤١.

<sup>١١</sup> محمد الرازي فخرالدين، *تفسير الفخر الرازي*، (فهارس: دار الفكر، ١٩٩٥ م)، ص. ١٩١.

<sup>١٢</sup> من القرآن، سورة مريم ١٢.

<sup>١٣</sup> من القرآن، سورة يس ٥٨.

<sup>١٤</sup> التحرير والتنوير، (المكتبة الشاملة)، ص. ٤٥٦/٨.



ويسمى بلفظ "وَسَلَّمَ" بكناية الموصوف لأن يدلّ آمان من ثلاثة أحوال يعني ميلد، موت، يوم البعث. وفي و أغراض الكناية يعني الإختصار هو يدلّ ثلاثة وسائل يعني سعادة، سكينه، آمان من ميلد، موت، يوم البعث.

٥- قَالَتْ أَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٥٠﴾

الكناية اللطيفة {وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ} كناية عن المعاشرة الزوجية بالجماع.<sup>١٥</sup>

{ قَالَتْ أَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ } أي والحال أنه لم يياشربي بالحلال رجل وإنما قيل بشر مبالغة في تترها من مبادئ الولادة {وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} أي ولم أكن زانية، والجملة عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالحلال وهو كناية عن ذلك كما في قوله تعالى: { مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ }<sup>١٦</sup> { أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ }<sup>١٧</sup> [ النساء: ٤٣ ] ونحوه كما قيل دخلتم بهن وبني عليها.

وأما الزنا فليس بقمن أن يكنى عنه لأن مقامه أما تطهير اللسان فلا كناية ولا تصريح وإما التقرير فحينئذ يستحق الزيادة على التصريح والألفاظ التي يظن أنها كناية فيه قد شاعت حتى صارت حقيقة صريحة فيه ومنها ما في الظن الكريم، ولا يرد على ذلك ما في سورة آل عمران من قولها {وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ} مقتصرة عليه فإن غاية ما قيل فيه إنه كناية عن النكاح والزنا على سبيل التغليب، ولم يجعل كناية عن الزنا وحده، ولقائل أن يقول: أنه ثم كناية عن النكاح فقد كما هنا واستوعبت الأقسام وهنا لأنه مقام البسط واقتصرت على نفي النكاح ثم لعدم التهمة ولعلمها

<sup>١٥</sup> محمد علي الصّابوني، مرجع سابق، ص. ٤١.

<sup>١٦</sup> من القرآن، سورة البقرة ٢٣٧.

<sup>١٧</sup> من القرآن، سورة النساء ٤٣.

أهم ملائكة ينادون لا يتخيلون فيها التهمة بخلاف هذه الحالة فإن جبريل عليه السلام كان قد أتاها في صورة شاب أمرد، ولهذا تعوذت منه ولم يكن قد سكن روعها بالكلية إلى أن قال: { إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ }<sup>١٨</sup> على أنه قيل: إن ما في آل عمران من الاكتفاء وترك الاكتفاء في هذه لأنه تقدم نزولها فهي محل التفصيل بخلاف تلك لسبق العلم، وقيل: المساس هنا كناية عن الأمرين على سبيل التغليب كما في تلك السورة { وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا } تخصيص بعد التعميم لزيادة الاعتناء بتثريه ساحتها عن الفحشاء، ولذا آثرت كان في النفي الثاني فإن في ذلك إيذاناً بأن انتفاء الفجور لازم لها.<sup>١٩</sup> وأما هذا اللفظ وهو كناية عن الصفة لأن المراد بلفظ "لم يمسنى بشر" وهو بكر أو الجماع أى عبارة عن النكاح الحلال، ولفظ "بكر" هي من الصفة ليس من الموصوف. و أغراض الكناية يعني لأن مقسود الجماع لكن تعتبر بذيئة فاحش أو شر.

٦- أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا<sup>ط</sup> لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ



{ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ } صيغتا تعجب، وهو تعجب على لسان الرسول والمؤمنين، أو هو مستعمل في التعجب، والمعنيان متقاربان، وهو مستعمل كناية أيضاً عن تهديدهم، فتعيّن أن التعجب من بلوغ حالهم في السوء مبلغاً يتعجب من طاقتهم على مشاهدة مناظره وسماع مكارهه. والمعنى؛ ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم، أي ما أقدرهم على السمع والبصر بما يكرهونه. وقريب هو من معنى قوله تعالى: { فما أصبرهم على النار }<sup>٢٠</sup>.

<sup>١٨</sup> من القرآن، سورة مريم ١٩.

<sup>١٩</sup> محمود الألوسي، مرجع سابق، ص. ١١٣.

<sup>٢٠</sup> من القرآن، سورة ١٧٥.

يُجوز أن يكون { أسمع بهم وأبصر } غير مستعمل في التعجب بل صادفَ أن جاء على صورة فعل التعجب، وإنما هو على أصل وضعه أمر للمخاطب غير المعين بأن يسمع ويُبصر بسببهم، ومعمول السمع والبصر محذوف لقصد التعميم ليشمل كل ما يصح أن يُسمع وأن يُبصر. وهذا كناية عن التهديد.<sup>٢١</sup>

ويسمى بلفظ "أَسْمَعُ بِهِمْ وَأَنْصُرُ" بكناية الموصوف لأن يدلّ لتهديد كما وجد تفعل في الدنيا. و أغراض الكناية يعني الإحصار المقصود كناية إلى ظالمين باستعمل لتهديد.

٧- يَتَأَبَّتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ

لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

يأبت إني أخافُ أن يمسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا تحذيرٌ من سوء العاقبة والمعنى أخاف أن تموت على كفرك فيحل بك عذاب الله الأليم وتكون قريناً للشيطان بالخلود في النيران قال الإمام الفخر: وإيراد الكلام بلفظ يأبت في كل خطاب دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب، وقد رتب إبراهيم الكلام في غاية الحسن، لأنه نبهه أولاً إلى بطلان عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى، ثم ذكره بأن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق، وقوله إني أخافُ دليلٌ على شدة تعلق قلبه بمصالحه قضاءً لحق الأبوة.<sup>٢٢</sup>

( ويسمى بلفظ " أن يمسك العذاب " ) بكناية الموصوف لأن

المراد ذا اللفظ هو تدل على أصاب البلاء، أي المصيبة من الله بسبب

<sup>٢١</sup> التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص. ٤٧٦/٨.

<sup>٢٢</sup> محمد علي الصّابوني، مرجع سابق، ص. ٤٣.

إنكاره. وأما البلاء ليس من صفة لكن هو الموصوف وعبر إبراهيم بعبارة لطيفة بسبب العار، وهذا من الكناية اللطيفة. و أغراض الكناية يعني الإيضاح لأن سيعذب عليك.

٨- قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِّ أَلِهَتِي يَتَابِرَاهِمُ<sup>ط</sup> لِيْن لَّمْ تَنْتَه لِأَرْجُمَنَّكَ<sup>ط</sup>

وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

والرجم: الرمي بالحجارة، وهو كناية مشهورة في معنى القتل بذلك الرمي. وإسناد أبي إبراهيم ذلك إلى نفسه يحتمل الحقيقة؛ إما لأنه كان من عادتهم أن الوالد يتحكم في عقوبة ابنه، وإما لأنه كان حاكماً في قومه. ويحتمل المجاز العقلي إذ لعله كان كبيراً في دينهم فيرجم قومه إبراهيم استناداً لحكمه بمروقه عن دينهم.

ويسمى بلفظ لأَرْجُمَنَّكَ بكناية صفة يدلّ عدوّح سديداً. و

أغراض الكناية يعني الإيضاح لأن عدوة إلى إبراهيم.

٩- وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

{ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا } أي جعلنا لهم ذكراً حسناً في الناس، لأن جميع أهل الملل والأديان يشنون عليهم لما لهم من الخصال المرضية، ويصلون على إبراهيم وعلى آله إلى قيام الساعة، قال الطبري: أي رزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل في الناس.<sup>٢٣</sup>

الكناية اللطيفة { وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا } كنى عن الذكر الحسن والثناء الجميل باللسان لأن الثناء يكون باللسان فلذلك قال { لِسَانَ صِدْقٍ } كما يكنى عن العطاء باليد.<sup>٢٤</sup>

<sup>٢٣</sup> محمد علي الصّابوني، مرجع سابق، ص. ٢٢٠.

<sup>٢٤</sup> محمد علي الصّابوني، مرجع سابق، ص. ٤٦.

ويسمى بلفظ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا بكناية الموصوف اشكال ثناء إلى يعقوب و إسحاق. و أغراض الكناية يعني لتحسين المعنى المقصود من ثناء.

### ١٠- وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} أي رفعنا ذكره وأعلينا قدره، بشرف النبوة والزلفي عند الله.<sup>٢٥</sup>

وتسمى هذا اللفظ بكناية عن الموصوف لأن لفظ "ورفعناه مكانا عليا" هو الكناية عن درجة رفيعة ويوضح عن حال إدريس حين رفع ربه إلى درجة عليا ولفظ "درجة" هي من الموصوف. و أغراض الكناية يعني لتحسين المعنى المقصود كناية من هارون.

١١- وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

### ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٤٦﴾

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} على هذا الوجه من الكلام الملقن به جبريل جواباً للنبي صلى الله عليه وسلم و {نَسِيًّا: صيغة مبالغة من نسي، أي كثير النسيان أو شديده.

والنسيان: الغفلة عن توقيت الأشياء بأوقاتها، وقد فسروه هنا بتارك، أي ما كان ربك تاركك وعليه فالمبالغة منصرفه إلى طول مدة النسيان. وفسر بمعنى شديد النسيان، فيتعين صرف المبالغة إلى جانب نسبة نفي النسيان عن الله، أي تحقيق نفي النسيان مثل المبالغة في قوله {وما ربك بظلام للعبيد} [فصّلت: ٤٦] فهو هنا كناية عن إحاطة علم الله، أي إن تترلنا بأمر الله لما هو على وفق علمه وحكمته في ذلك، فنحن لا

<sup>٢٥</sup> محمد علي الصّابوني، مرجع سابق، ص. ٤٥.

تنتزل إلا بأمره. وهو لا يأمرنا بالتترل إلا عند اقتضاء علمه وحكمته أن يأمرنا به.<sup>٢٦</sup>

ويسمى بلفظ وما كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا بكناية صفة تغطي قوة الله او علم الله. و أغراض الكناية يعني الإيضاح المقصود كناية من الله القادر.

## ١٢- وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

والله ما ليلي ينام صاحبه... وقال أيضاً: نص النحويون على أنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بأن وأين ذلك في الآية، وجعل ابن هشام تحلة القسم كناية عن القلة وقد شاع في ذلك، ومنه قوله كعب: تخذي على يسرات وهي لاحقة... ذوابل مسهن الأرض تحليل.

فإن المعنى مسهن الأرض قليل كما يلحف الإنسان على شيء ليفعله فيفعل منه اليسير ليتحلل به من قسمه ثم قال: إن فيما قاله جماعة من المفسرين من أن القسم على الأصل وهو إشارة إلى قوله تعالى: { وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا } الخ نظراً لأن الجملة لا قسم فيها إلا إن عطفت على الجمل التي أجيب بها القسم من قوله تعالى: { فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ } إلى رخرها وفيه بعد انتهى. والخفاجي جوزا الحالية والعطف، وقال: حديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل وهو كما ترى، ولعل الأسلم من القيل والقال جعل ذلك مجازاً عن القلة وهو مجاز مشهور فيما ذكر، ولا يعكر على هذا ما أخرجه أحمد. والبخاري في تاريخه. والطبراني. وغيرهم عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تعالى متطوعاً لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله تعالى يقول: { وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا } .

فإن التعليل صحيح مع إرادة القلة من ذلك أيضاً فكأنه قيل: لم ير النار إلا قليلاً لأن الله تعالى أخبر بورود كل أحد إياها ولا بد من وقوع ما أخبر به ولولا ذلك لجاز أن لا يراها أصلاً.<sup>٢٧</sup>

ويسمى بلفظ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا بكناية صفة قليلا من الناس الذين يدخلونها، لأن الآخرون إنما يمرون بها على الصراط التي تكون على النار. و أغراض الكناية يعني الإيضاح للمذنبين.

### ١٣- وَنَرِثُهُ يَوْمَ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨﴾

مستعمل مجازاً في السلب والأخذ، أو كناية عن لازمه وهو الهلاك. والمقصود: تذكيره بالموت، أو تهديده بقرب هلاكه.

ومعنى إرث أولاده أنهم يصيرون مسلمين فيدخلون في حزب الله، فإن العاصي ولدَ عمراً الصحابي الجليل وهشاماً الصحابي الشهيد يوم أجنادين، فهنا بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ونكايه وكمد للعاصي بن وائل.<sup>٢٨</sup> ويسمى بلفظ وَنَرِثُهُ بكناية صفة قريب من الموت. و أغراض الكناية يعني الإيضاح المقصود كناية من الموت.

<sup>٢٧</sup> محمد حسين العرب، مرجع سابق، ص. ١٧٩.

<sup>٢٨</sup> التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص. ١١/٩.

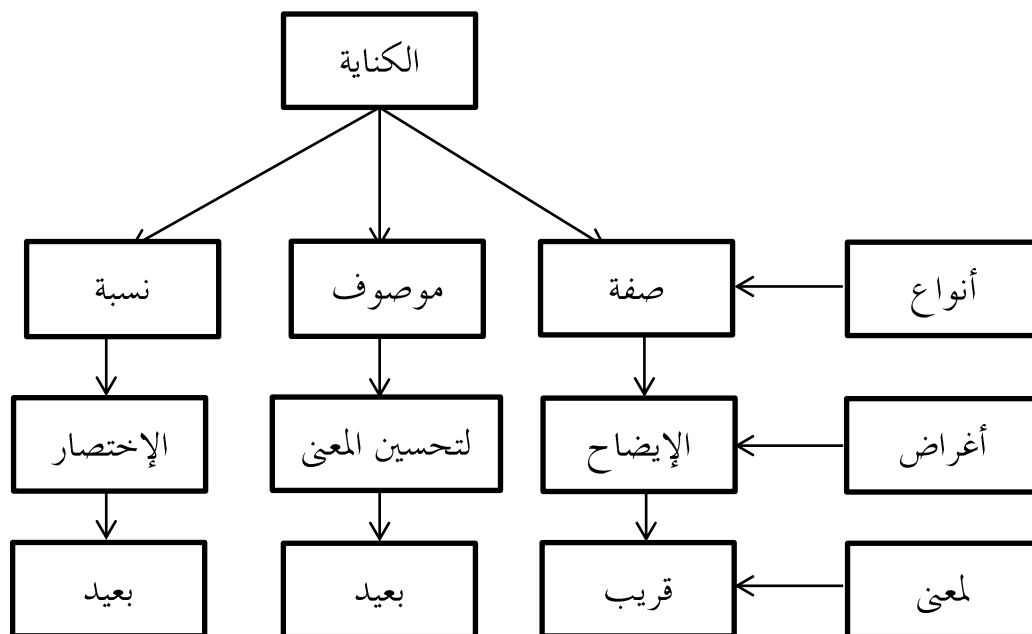
## ٤- عنوان الكناية في سورة مريم

المعنى	أغراض	أنواع	بمعنى كناية	الآية	قوله تعالى	رقم
قريب	الإيضاح	صفة	بالذات الإخلاص	٣	إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾	١-
قريب	الإيضاح	صفة	حال الجسم	٤	قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾	٢-
قريب	الإيضاح	صفة	تدل على أصاب البلاء، أي المصيبة من الله بسبب إنكاره	٤٥	يَتَأَبَّتْ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾	٣-
قريب	الإيضاح	صفة	يدلّ عدوّح سديدا.	٤٦	قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنِّ يَا إِلَهِي يَا بَرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾	٤-



قرب	الإيضاح	صفة	تغطي قوة الله او علم الله	٦٤	وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُر مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾	-٥
قريب	الإيضاح	صفة	قليلا من الناس الذين يدخلونها، لأن الآخرون إنما يمرون بها على الصراط التي تكون على النار	٧١	وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾	-٦
قريب	الإيضاح	صفة	قريب من الموت	٨٠	وَنَرْتُهُر مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾	-٧
بعيد	للعار	صفة	بكر أو الجماع أى عبارة عن النكاح الحلال	٢٠	قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾	-٨
قريب	الإيضاح	موصوف	الكلام	١١	فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾	-٩

بعيد	لتحسين المعنى	موصوف	اشكال ثناء إلى يعقوب و إسحاق	٥٠	وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾	١٠-
بعيد	لتحسين المعنى	موصوف	درجة رفيعة ويوضح عن حال إدريس	٥٧	وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾	١١-
بعيد	الإختصار	نسبة	يدلّ آمان من ثلاثة أحوال يعني ميلد، موت، يوم البعث	١٥	وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾	١٢-
بعيد	الإختصار	نسبة	يدلّ لتهديد كما وجد تفعل في الدنيا	٣٨	أَسْمِعْ هِمِّمْ وَأَنْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾	١٣-



والخلاصة: إذا كان غرض الكناية للإيضاح فيتعين نوعها على صفة ومعناها على كناية للقريب، وإذا كان غرضها لتحسين المعنى فيتعين نوعها على موصوف ومعناها للبعيد، وإذا كان غرضها للاختصار فيتعين نوعها على نسبة ومعناها للبعيد.